

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

نمط الحياة
أوقع تأثيراً من العلم والإيمان (المحاضرة ٧)



PanahianAR

الزمان: شهر المحرّم ١٤٣٣
المكان: مهديّة طهران
الموضوع: نمط الحياة أوقع تأثيراً من العلم والإيمان (المحاضرة ٧)



الأدب ونمط الحياة هما ممهدان للتدبرِ / المجتمع المتمرد على آدابه، عصيٌّ على الدين أيضاً!

أحد المفاهيم الدينية القريبة جدًا من مفهوم نمط الحياة هو مفهوم الأدب / إن من حسن الأدب ونمط الحياة هو أن يراقب المجتمع عبر العلاقات الإنسانية لا بالقانون والعقوبات! / لم يتصل الإسلام إلى تحديد نمط حياتنا بحذافيره وتفاصيله / المجتمع الذي لم يلتزم بأدابه لن يلتزم بالدين أيضاً! / العقل أساس الأدب، ولا يقتضي الأدب الالتزام بالدين بالضرورة

إليكم أهم المقاطع من المجلس السابع من سلسلة محاضرات علي رضا بنهايان في جامعة الإمام الصادق (ع) تحت عنوان «نمط الحياة، أوقع تأثيراً من العلم والإيمان»:



من المفترض أن يكون ديننا قد أخذ بعين الاعتبار احتياجات البشر إلى يوم المحشر، ولذلك فعندما ينزل إلى الساحة مفهوم جديد كنمط الحياة . الذي هو مفهوم ركين ومهم لحياة الإنسان . لابد أن يكون قد أشير إليه بنحو ما في الدين. فإن كان نمط الحياة ذا تأثير غير قليل في حياة الإنسان، فبأي ألفاظ قد أشير إليه في الدين؟ وما هي الألفاظ التي استخدمها الدين والتي تشير بشتم الأساليب إلى مفهوم «نمط الحياة»؟ سبق أن قد بحثنا حول مفهوم العمل والسلوك، ولا يخفى أن تعريف نمط الحياة يختلف عن تعريف العمل والسلوك. فإن نمط الحياة هو العمل والسلوك مضافا إلى قيود أخرى. ولكن مهما اهتم ديننا بالعمل والسلوك وأولاًه قيمة، فإن نمط الحياة يحظى بنفس الأهمية والقيمة. المفهوم الآخر الذي غير منفك عن مفهوم نمط الحياة هو «العادة». لأن نمط الحياة هو ذلك السلوك الذي يمارسه الإنسان دائماً والعمل الذي يُمارس بشكل دائم يتحول إلى عادة.



لقد وصّتنا النصوص الدينية والروايات بأن تتخذ عادات حسنة ونغير العادات السيئة. وحتى قد يلزم الإنسان أن يغيّر إحدى عاداته الحسنة أو يعمل على خلاف عادته. فإن الأصل هو قدرة الإنسان على كسر عاداته. يرتبط نمط الحياة بطبع السلوك ارتباطاً وثيقاً وإنّه يشمل ظاهر سلوك الإنسان. فعلى سبيل المثال وإن كان نمط حياتك غير منفك عن نوع طعامك ولكنّه ذو علاقة أوثق «بأسلوب أكلك»، أي كيف تبدأ بالأكل وكيف تباشر به. من خصائص نمط الحياة الأخرى هي الاستمرار، وقد تحدّثنا عنه في خلال مفهوم العادة. ومن خصائصه الأخرى هي مما يختاره الإنسان بمعزل عن القوانيين الاجتماعية المفروضة. فلا يلاحقك القانون أن تمارس هذا العمل! فإن تركته لن تسجّل عليك جريمة وإنّما هو أمر ثقافيٌّ وممّا يختاره الإنسان. فإِّمّا هو مرغوب ومحبوب وإِّمّا تختره لأسباب ما. هناك مفهوم قريب جدًا من نمط الحياة وتسري فيه نفس هذه الخصائص التي أحصيناها لنمط الحياة، وهو مفهوم عظيم باسم الـ «أدب». الأدب أيضاً مثل



نمط الحياة يهتم كثيرا بالطبع وشكل السلوك. فيقال مثلا: آداب الصلة وأداب الطعام وأداب الرفاف وأداب مجالس التأبين وأداب اللبس وأمثالها هي سلوکنا الذي يتميّز بأشكال خاصة. وفي مفهوم الأدب أيضا مثل نمط الحياة، نرى عنصر «الاستمرار» مثلا. فمن الذي يُعرف مؤدّبا؟ من يراعي بعض الآداب في أفعاله دوما. أمّا الذي يصدر منه سلوك حسن بعض الأحيان، فلا يقال عنه: مؤدّب! لا يرتبط مفهوم الأدب بالقانون ارتباطاً وثيقاً، وهذه من نقاطه الإيجابية. لأن القانون لا يخلو من الفرض والإجبار، بينما يجب أن تُراقب وتُعَدَّل وتحسَّن كثير من أفعالنا من دون حاجة إلى القانون. القانون يدل على هبوط مستوى المجتمع. لا يراقب الأدب ونمط الحياة بالقانون عادةً. وهذه الميزة من محاسن الأدب والمجتمع الذي أراد أن يسّير أموره بالأدب. إن بعض الناس لا يفعل ولا يترك شيئا إلا تحت مطرقة القانون، وليس هذا بصحيح. فقد قال أمير المؤمنين(ع):



«لَا تَكُونَنَّ مِمْنَ لَا يَنْتَفِعُ مِنَ الْعُظَةِ إِلَّا بِمَا لَزَمَهُ فَإِنَّ
الْعَاقِلَ يَنْتَفِعُ بِالْأَدَبِ وَالْبَهَائِمَ لَا تَتَعَظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ»
[تحف العقول/٨٣] أَوْهَلْ نَحْنُ بِهَائِمٍ لَكِي نُدَارٌ بِالْقَانُونِ
وَحْسَبْ؟! طَبَعًا لَا شَكَ فِي ضَرُورَةِ وُجُودِ الْقَانُونِ،
إِذْ يَهُوِي بَعْضُ النَّاسِ أَنْ يَعِيشُونَ مِثْلَ الْبَهَائِمِ دَائِمًا!
وَلَكُنَا يَجِبُ أَنْ نَتَصَرَّفَ بِمَقْتَضِيِّ الْأَدَبِ فِي الْغَالِبِ لَا
بِقَهْرِ الْقَانُونِ! لَا يَحْلُو لِمَجَتَّمِنَا أَنْ لَا يَجِدَ بَدِّيَا لِتَنْظِيمِ
وَتَحْسِينِ الْمَرْوُرِ، سُوِّي زِيَادَةُ الْغَرَامَاتِ! فَهَذِهِ الظَّاهِرَةُ
تَدَلِّلٌ عَلَى أَنْ مَدَارِسُنَا غَيْرُ نَاجِحةٍ، وَتَعْنِي أَنْ عَوَائِلُنَا
وَالإِذَاعَةُ وَالتَّلْفِيَزِيُونُ وَالهَيَّئَاتُ وَالْمَسَاجِدُ غَيْرُ نَاجِحةٍ!
هَلْ تَعْلَمُونَ مَتَى تُحِيَّيُ فَرِيَضَتَا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهِيِّ
عَنِ الْمُنْكَرِ؟ حِينَمَا كَانَتْ هُنَاكَ آدَابٌ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ
يَصُونُونَ هَذِهِ الْآدَابَ بِمَلَامِحِهِمْ وَأَنْظَارِهِمْ. كَمَا أَنَّ
أَحَدَ أَنْوَاعِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهِيِّ عَنِ الْمُنْكَرِ . عَلَى
مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ . هُوَ أَنْ يَوَاجِهَ النَّاسُ الْمُعَصِيَةَ
بِوْجُوهٍ مَكْفَهِّةٍ، لَكِي يَرْتَدِعَ الْعَاصِيُّ. [الْكَافِيِّ/جِهَةِ/٥]
صِ ٥٩] لَابِدٌ مِنْ تَعْزِيزِ الْأَدَبِ فِي الْمَدَارِسِ وَأَنْ يَتَصَرَّفَ
الْأَطْفَالُ وَفَقَ الْآدَابِ . وَلَكِنْ حِينَمَا يَرِيدُ مُدْرَاءُ الْمَدَرِسَةِ



أن يريحوا بالهم، يُكثرون من فرض الضوابط والقوانين ليكون سلوك الطلاب على أساسها، وهذا ما لا يليق بالمجتمع الإنساني! ينبغي للطالب أن يستحبّي من المعلم، ثم يدرس ويُحسن السلوك بمقتضى الحياة والأدب. جمال نمط الحياة في أنه لا صلة له بالقانون والغرامات والمحاكم كثيراً، بل يُنظّم في المجتمع عبر «العلاقات الإنسانية». فعلى سبيل المثال في جلسة «الشريعة» والتي يخطب فيها أهل الزوج رسميّاً بحضور كبار القوم، يُهدى خاتم للعروس! فيا ترى في أي مادّة دستوريّة أقرّ هذا العمل كقانون؟! إنه مضبوط في «غير مكتوب» ومرحباً بالمجتمع الذي يتصرّف فيه أبناءه وفق قوانين الحياة غير المكتوبة! حتى وإن لم تكن آدابنا دينية، فلا بأس. إذ لم يتصدّ الإسلام إلى تحديد جميع تفاصيل نمط حياتنا بنفسه. ولذلك يلزمنا تارة أن نعزّز الالتزام بالأدب ونمط الحياة في المجتمع من دون الاستعانة بالدين. مثلاً أحد وجوه الأدب البارزة جدّاً هو «الحياة». فقد قال رسول الله(ص): «إِذَا لَمْ تَسْتَحِيْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» [عيون أخبار الرضا(ع)/ج٢/ص٥٦]



يعني قبل ما تراجع الدين، قو حياءك لكي نستطيع بعد ذلك أن تتحاور معاً! «الحياء» صفة روحية وأخلاقية و «الأدب» أكثر صلة بالسلوك ونمط الحياة، غير أنها نستطيع أن نرفع مستوى الحياة في المجتمع عبر تنظيم السلوك. وبالعكس إن تركنا بعض السلوك وبعض الآداب في سلوكنا، صار المجتمع صَلْفَاً! إن سعي بعض الجهات على هدم الآداب في المجتمع باسم التحرر والصراحة، لعمل شنيع حيواني حقاً. المجتمع المتمرد على آدابه، عصي على الدين أيضاً! فلا يجوز أن يخبو بريق الأدب في المجتمع. فإن كان سوء الأدب سائدا في مجتمع ما، فلا يمكن أن يسود الدين فيه. وكذا الحال في الأسرة، فإنه لابد للأبؤين أن يحددا بعض الآداب في البيت ويلتزمما بها. فإن أرادا أن يريحا أنفسهما ويخلعا كل قيد وعنان عن رقبتهما في البيت، وأن يعملا ويقولا ما طاب لهما، فلن يقوم للدين في هذا البيت عمود ولن يخضر له عود! الأدب ونمط الحياة يمثلان المقدمة للالتزام بالدين. فليس من المفترض أن يقتصر الأنبياء وعلماء



الدين المعنيّون بحفظ دين الناس على تبيين الأحكام الدينية الخاصة من الحلال والحرام والعبادات! وليس هذا بنهج صائب! بل ينبغي أن يتظافر علماء الدين وحتى أولئك الذين ليسوا معنيين بتبلیغ الدين بشكل مباشر كالشعراء والفنانيـن والمهندسيـن وغيرهم على أن يرفعوا مستوى الأدب في المجتمع. بعد ذلك سيسعـنا أن نتفق مع المجرم بل حتى الكافر الملحد على الأدب إن كان مؤدـباً. روى عن أمير المؤمنـين (ع) أنه قال: «الآدـب فـى الإـنسـان كـشـجـرـة أـصـلـهـا العـقـلـ» [غرـالـحـكـمـ/٢٠٠٤] فليـسـ منـ الـضـرـوريـ أنـ يـكـونـ الإـنسـانـ مـتـدـيـنـاـ ليـكـونـ مؤـدـبـاـ وـحـيـيـاـ. إـلاـ أنـ الدـيـنـ يـقـوـيـ الـحـيـاءـ وـالـآدـبـ. قالـ أمـيرـ المؤـمـنـينـ (ع)ـ: «أـخـسـنـ الـآدـبـ مـاـ كـفـأـ عـنـ الـمـحـارـمـ» [غرـالـحـكـمـ/٣٢٩٨] فأـولـئـكـ الـذـيـنـ هـمـ بـصـدـدـ تـروـيجـ الـحـجـابـ فـيـ الـمـجـتمـعـ، عـلـيـهـمـ أـنـ يـرـوـاـ مـاـ هـيـ الـآـدـبـ التـيـ إـنـ سـادـتـ فـيـ الـمـجـتمـعـ سـهـلـ الـحـجـابـ، بـدـلاـ مـنـ أـنـ يـرـكـزـواـ عـلـىـ الـحـجـابـ مـبـاشـرـةـ وـمـنـ دـوـنـ مـقـدـمةـ. فـلـيـعـرـزـواـ هـذـهـ الـآـدـبـ. مـثـلاـ هـنـاكـ آـدـابـ فـيـ الـعـلـاقـاتـ الـأـسـرـيـةـ مـنـ شـائـنـهـاـ أـنـ تـعـرـزـ الـحـجـابـ،



فإن لم نراع هذه الآداب كأحد أركان نمط الحياة، لن يتحسن الحجاب في المجتمع. فعلى سبيل المثال: إن أسان الأمهاتُ الأدبَ مع الآباء في البيت، ولم يتحدّثن معهم باحترام أو تجاسرن عليهم، فإنّ البنت التي تترعرع في هذا البيت يتعرّض إليها الحجاب بعدها. وهذا هو أحد جذور الاستخفاف بالحجاب وهناك جذور أخرى. وإن أساء الآباء في سلوكهم مع الأمهات وجانبوا الرأفة معهنّ، ساء خلق البنين مع البنات في المجتمع. هذه قضايا مرتبطة بنمط الحياة. ليس الطريق أن تقول: «تحجّبي وإلاً فمصيرك نار جهنّم!» فإن هذا الخطاب لا يخلو من التحكّم! سهلّ الحجاب على بنتك عبر نمط الحياة! هذا ما يأمر به الدين. ثم لا تختصّ أحكام الدين وأوامره بالشريعة، بل ينطوي الدين على وصايا تنظم سلوك الناس في الأسرة والمجتمع، من قبيل وجوب احترام الكبار. فقد جاء في الرواية: «الشّيْخُ فِي أَهْلِهِ كَالنَّبِيِّ فِي أُمَّتِهِ» [روضة الوعظتين/ج ٢/ص ٤٧٦] إن لم نصلح هذا الجانب من نمط سلوكنا، سوف لا تفهم الولاء وإطاعة الولي غداً! لقد كتب الدكتور كاردان في



كتابه علم النفس الاجتماعي (روانشناسی اجتماعی): «من أجل أن لا تجتمع المجتمعات الأوروبية مثل الشعب الألماني تحت إمرة قائد واحد، قام الصهاينة بالعمل ضدّ سيادة الأب في الأسر. فقد أعدّوا أطروحة وخططوا ببرامج واشتبكوا على خطّتهم هذه سنين» يشرح هذا الكاتب على أساس علم النفس أنه إذا كان الأب محترماً في البيت، فإن الولد الذي ينشأ في هذا البيت إذا دخل في المجتمع سيشعر بحاجة إلى قائد! ولا يخفى عليكم طابور بعض القوانين خلف باب مجلس الشورى الإسلامي، ليُقرّها النواب ويُطبّق نمط الحياة الذي أعدّه الصهاينة للمجتمعات الأوروبية في بلدنا أيضاً. وبعضها قد أدرجت في وثيقة ٢٠٣٠. هناك بعض الفوارق بين الأدب ونمط الحياة وبين الأحكام الشرعية أو الأخلاق. فقد تختلف مصاديق الأدب باختلاف المجتمع، ولا ضير في ذلك. وقد يشيع بين قوم «أدب سيء»، بإمكاننا أن نناقشها ونسعى لتركها. مثلاً إذا كان «العجب والخيال» من تقاليد وعادات قوم، فهي عادة سيئة.



ما هو تعريف الأدب؟ من أفضل الأحاديث في تعريف الأدب هو ما روى عن أمير المؤمنين(ع) حيث قال: «ضَبْطُ النَّفْسِ عِنْدَ الرَّغْبِ وَ الرَّهَبِ مِنْ أَفْضَلِ الْأَدَبِ» [غُرَرُ الْحَكْمِ / ٥٩٣٢] فلا تُظْهِرْ كُلَّ مَا شاعرْكَ وأَحَاسِيسِكَ. فليست من طبائع الإنسان أن يتحدث بكل ما يشتهي! اقتراحي لكم ولا سيما للشباب هو أنه إذا أردتم أن تتدربوا على أدب حسن ونمط حياة سليم، نظموا ساعة استيقاظكم! وابدوا من بُكرة. كما أقدم اقتراحي إلى مواطنينا المسيحيين أيضاً. وهو أن يستيقظوا من نومهم عند وقت أذان المسلمين بل قبله بنصف ساعة. فإن ذلك ضروري لنشاط الإنسان وذكائه وصحته في يومه. قال أحد الأطباء المتخصصين: «المتخصصون في كل العالم يعرفون أن صحة الجسم في الإيكار». هذه لحقيقة أشار إليها نبي الإسلام(ص) وقد أيدتها العلوم الطبيعية أيضاً. ولذلك فحتى أولئك الذين لا يعتقدون بدین الإسلام ينبغي لهم أن يستيقظوا في الأسحار حفاظاً على صحتهم. ما هي آثار الأدب؟ أحد آثاره كما ذُكر هو سهولة امتثال أحكام الدين.



من آثاره الأخرى هو «الرأفة». فإن الأدب غالباً يمنحك الإنسان قلباً رؤوفاً. والأثر الآخر من آثار الأدب يتجسد في العقل والفهم. فقد قال أمير المؤمنين (ع): «بالأدب تُشَحَّدُ الفطْنُ» [غُرِّ الرَّحْمَن/٤٣٣]. وبالمناسبة الاختبارات والدراسات التي أجريت في مجال الذكاء العاطفي قد انتهت إلى هذه النتيجة نفسها. ليراقب المراقبون على الأفلام والمسلسلات التلفزيونية مدى مراعاتها للأدب أكثر من أن يراقبوا مدى مراعاتها للمسائل الشرعية. فلا تعرضوا الفلم الأجنبي أو الإيراني الذي يروج سوء الأدب. فعلى سبيل المثال الفلم الذي يصرخ فيه ولدٌ على أبيه دون أن يحدث له حادث سيء كالموت المفاجئ، أو الفلم الذي تصرخ فيه فتاة على والديها ثم لا تشقى في حياتها فلا تعرضوه! فإن كنتم غير قادرين على تجسيد قبح هذا السلوك لا تعرضوه. فإن سوء الأدب أقبح من ارتكاب بعض المحرمات الممنوعة في الأفلام والمسلسلات!